الفصل الرابع

الجماعات المحلية

هجـرتنا

اقتصرت الفصول السابقة على توضيح كيف يمكن تنفيذ خطة الهجرة دون خلق أى اضطربات اقتصادية، إلا أنه يتعذر قيام حركة عظيمة كهذه دون أن تثير مشاعر عميقة وقوية؛ فهناك عادات قديمة وذكريات تربطنا بأوطاننا، فلنا مهاد وقبور، ونحن فقط نعرف كيف تتعلق قلوب اليهود بالقبور، ولسوف نحمل مهادنا معنا ـ فهى تدعم مستقبلنا ـ لأن يكون ورديّا بسامًا. ولكن لا نملك سوى أن نترك قبورنا، وفى هذا تضحيتنا العظمى، ولكن لا مفر من ذلك.

لقد أخرجتنا كروبنا الاقتصادية والضغط السياسى والمهانة الاجتماعية من أوطاننا وقبورنا، وقد أصبحنا نتنقل بصفة مستمرة الآن من مكان إلى آخر، وهناك تيار قوى يحملنا إلى الغرب نحو الولايات المتحدة الأمريكية، حيث وجودناغير مرغوب فيه أيضًا. فأى أرض سترحب بنا ما دمنا أمة بلا وطن؟

لكننا سوف نوجد لشعبنا وطنًا، ولسوف نعطيهم إياه، لا عن طريق جرفهم دون رحمة من تربة أرضهم، ولكن عن طريق نقلهم وغرسهم بعناية فى أرض أفضل. وتمامًا مثلما نرغب فى خلق علاقات سياسية واقتصادية جديدة، سوف نحافظ على كل ما هو عزيز على قلوب شعبنا من الماضى ونجعله فى مكانة مقدسة.

لذا، من المفترض هنا أن تكفى بعض الاقتراحات، فمن الأرجح أن هذا الجزء من خطتى سيعتبر ضربًا من خيال. غير أن هذا ممكن وحقيقى رغم أنه يبدو الآن غامضًا وبدون هدف. ستجعل الشركة منه أمرًا منطقيّا.

الهجرة فى مجموعات

ينبغى على شعبنا أن يهاجر فى مجموعات من أسر وأصدقاء، ولكن لن يجبر أى شخص على أن يلتحق بجماعة بعينها تنتمى إلى مكان إقامته السابق. ويستطيع كل شخص أن يسافر بطريقته حالما تستقر أموره. فنظرًا لأن كل شخص سوف يتحمل تكاليف السفر بالسكك الحديدية أو بالبحر، فبطبيعة الحال سوف يختار الدرجة التى تناسبه. ويحتمل ألا يكون هناك تفرقة فى الدرجات فى القطارات أو المراكب حتى لا يشعر الفقراء بمكانتهم الضئيلة خلال رحلتهم الطويلة. ورغم أننا لا نهدف إلى تنظيم رحلات ترفيهية، إلا أننا نحاول أن نبقيهم فى مزاج جيد خلالها.

لن يسافر أحد فى فقر مدقع، ولكن من ناحية أخرى يستطيع كل من يرغب فى أن يسافر فى ترف أن يفعل ذلك. وحتى فى أفضل الظروف يمكن ألا تؤثر هذه الحركة ولسنوات عديدة قادمة على طبقات معينة من اليهود؛ ويمكن من ثم استغلال الفترات الفاصلة فى انتقاء أفضل أساليب تنظيم هذه الرحلات. يمكن للأثرياء السفر فى مجموعات إن أرادوا، مصطحبين أصدقاءهم ومعارفهم. فاليهود ـ باستثناء أغنى أغنيائهم ـ لهم علاقات محدودة جدًا مع المسيحيين، فتقتصر علاقاتهم بهم فى بعض البلدان على كونهم متطفلين أو مقترضين أو معتمدين عليهم، وبالكاد يعرفون أحدًا من الطبقات الأرقى من المسيحيين؛ لقد استمر الجيتو بالرغم من سقوط جدرانه.

وهكذا ستقوم الطبقات الوسطى باستعدادات موسعة ودقيقة للهجرة، وسيتم تشكيل مجموعة من المسافرين فى كل موقع، حيث ستقسم كل مدينة إلى أحياء تضم كل منها مجموعة، وتتواصل المجموعات فيما بينها من خلال ممثلين منتخبين لهذا الغرض. غير أنه لا يلزم اتباع هذا التقسيم بدقة، لأن مقصده هو مجرد تخفيف الإحساس بعدم الارتياح والحنين إلى الوطن لدى الفقراء أثناء رحلتهم إلى الخارج. ويحق لكل شخص السفر منفردًا أو مع أى جماعة محلية يختارها، وسوف تتشابه ظروف السفر ـ المنظمة تبعًا للطبقات ـ بالنسبة للجميع. وتستطيع أى جماعة بها عدد كاف من المسافرين أن تستأجر قطارًا أو مركبًا خاصًا من الشركة.

وسوف يوفر مكتب الإسكان التابع للشركة أماكن للفقراء عقب وصولهم، وفيما بعد، عند وصول المهاجرين الأثرياء، سيصبح من الضرورى توفير حاجتهم من السكن فور وصولهم، من خلال فنادق تشيدها مؤسسات خاصة. واقع الأمر أنه من المتوقع أن يقوم البعض من هؤلاء المستوطنين الأثرياء ببناء بيوتهم قبل أن يصبحوا مستوطنين دائمين، وهم بهذا ينتقلون من منزل قديم إلى آخر جديد.

سيكون من الإهانة لذكاء شعبنا أن أعنى بتوضيح كل شىء يجب فعله، فأى شخص مرتبط بالفكرة القومية سيعرف كيف ينشرها وكيف يجعلها حقيقة فى نطاق نفوذه. و قبل كل شىء، سوف نطالب بتعاون أحبارنا معنا.

أحبارنا

سيكون لكل جماعة الحبر الخاص بها تسافر فى زمرته، وبعد ذلك ستختار كل جماعة محلية حبرها، وسيكون لكل مكان قائده الدينى. وسوف يكرس أحبارنا ـ الذين ندعوهم بصفة خاصة ـ طاقاتهم لخدمة فكرتنا، فيلهمون تجمعاتهم بها من خلال الوعظ من المنبر، و لن يحتاجوا إلى عقد اجتماعات خاصة لهذا الغرض، فالحث عليها يمكن أن يتم فى المعابد اليهودية، وهذا بالتحديد ما يجب فعله، فنحن نستشعر الصلة التاريخية فقط من خلال إيمان آبائنا، حيث استوعبنا منذ زمن لغات مختلف الأمم لدرجة لا يمكن محوها.

وسوف يتلقى الأحبار رسائل منتظمة من الشركة والجمعية، على أن يقوموا بإذاعتها وشرحها إلى حشودهم، وسوف تصلى إسرائيل من أجلنا و من أجل نفسها.

ممثلو الجماعات المحلية

ستقوم المجموعات المحلية بتعيين لجان ممثلة لها تحت رئاسة الحبر، لمناقشة الشئون المحلية والفصل فيها.

أما المؤسسات الخيرية، فستقوم الجماعات المحلية بنقلها، على أن تبقى كل مؤسسة «هناك» مملوكة من قِبل مؤسسيها الأصليين. أعتقد أنه ينبغى ألا تباع المبانى القديمة

الخاصة بهذه المؤسسات، بل تخصص لمساعدة المسيحيين الفقراء فى المدن المهجورة. وستحصل الجماعات المحلية على تعويضات لهذا عن طريق الحصول على مواقع بناء ومرافق مجانية لإعادة بنائها فى الدولة الجديدة.

وسوف يمنح نقل المؤسسات الخيرية واحدة أخرى من تلك الفرص، والتى تطرأ فى مواضع مختلفة من مخططى هذا، والتى تهدف إلى تقديم تجربة فى خدمة الإنسانية. إن ما نقوم به الآن من عمل خيرى خاص وغير منظم، إنما يقدم القليل إذا ما قورن بحجم النفقات الذى يتضمنه. إلا أن هذه المؤسسات يجب وأن تشكل جزءًا من نظام يجعلهم فى النهاية كيانًا متكاملاً. فى مجتمع جديد، يمكن لهذه المؤسسات أن تتطور من خلال ضميرنا الحديث، كما يمكن أن تستند إلى الخبرات الاجتماعية السابقة. وإنه لأمر بالغ الأهمية بالنسبة لنا إذا ما نظرنا إلى العدد الضخم من المحتاجين لدينا. فالشخصيات الضعيفة بيننا، التى أحبطتها الضغوط الخارجية، وأفسدتها صدقات الأغنياء السهلة؛ انحدرت حتى أصبحت من الشحاذين.

وستولى الجمعية ـ بدعم من المجموعات المحلية ـ اهتمامًا كبيرًا بالتعليم العام فى هذا الشأن، ولسوف يخلق هذا تربة مثمرة لكثير من الطاقات التى تذوى الآن دون فائدة. فكل من سيبدى رغبة حقيقية فى العمل، سوف يوضع فى الوظيفة المناسبة له. لن يوجد مكان للسائلين، فمن سيرفض العمل كشخص حر، سوف يرسل إلى الملجأ.

ومن ناحية أخرى لن ننفى كبار السن فى ملاجئ الفقراء، فهذه الملاجئ هى واحدة من أقسى أشكال الصدقة التى استحدثتها طبيعتنا الطيبة المغفلة. فهناك يموت كبار السن من الشعور بالخزى والعار؛ فهم مدفونون حقّا هناك. ولكن حتى لهؤلاء الأقل ذكاء منا، سوف نترك لهم وهمًا يواسيهم بأن لهم نفعًا فى هذا العالم. وسوف نوفر مهامّ يسيرة للذين لا يقدرون على الأعمال البدنية الشاقة؛ فنفسح مجالاً للحيوية الواهنة الكامنة فى فقراء جيل كان مستضعفًا بالفعل. لكننا سوف نتعامل مع أجيال المستقبل بطريقة مختلفة؛ فسوف ينشؤوا فى حرية ليعيشوا حياة الحرية.

سنسعى لغرز مبدأ أن النجاة فى العمل فى نفوس الجميع؛ كل الأعمار والطبقات، وبهذا سوف يستعيد شعبنا قوته فى الأرض التى تطبق يوم العمل ذى السبع الساعات.

تخطيط المدن

ستقوم الجماعات المحلية بإيفاد ممثليهم المفوضين لاختيار مواقع المدن، وعند توزيع الأرض، سيتم اتخاذ جميع التدابير فيما يتعلق بتنفيذ النقل الحذر، أخذًا فى الاعتبار كافة الحقوق المكتسبة.

سيكون لدى المجموعات المحلية تخطيط المدن، حتى يعرف الناس مسبقًا الأماكن التى سيذهبون إليها؛ فى أى مدن وأى منازل سيقيمون؟ كما سيتم توزيع مسودات شاملة لخرائط المبانى المشار إليها آنفًا على كافة المجموعات المحلية.

أما مبدأ الإدارة الذى سننتهجه، فهو المركزية التامة لحكم المجموعات المحلية الذاتى، وهكذا سيتم النقل بأقل معاناة ممكنة.

أنا لا أتصور كل هذا بشكل أسهل مما سيكون عليه بالفعل؛ لكن على الجانب الآخر، لا يجب أن يتصوره الناس بشكل أصعب مما هو عليه فى الحقيقة.

هجرة الطبقات المتوسطة

ستنجذب الطبقات المتوسطة لا إراديًا إلى التيار المهاجر، حيث سيكون أبناؤهم مسئولى الجمعية أو موظفى الشركة «هناك»؛ محامون وأطباء وفنيون فى كافة المجالات، ورجال أعمال من الشباب ـ حقيقة الأمر كل اليهود الذين يبحثون عن فرص، والذين فروا من أوطانهم من جراء القمع فى بلادهم المحلية، ليكسبوا معايشهم فى أراضٍ غريبة ـ سيجتمعون فوق أرض مفعمة بالآمال والطموحات. ولسوف تتزوج بنات الطبقات المتوسطة من هذا الشباب الطموح. سوف يرسل أحدهم لإحضار زوجته أو خطيبته، وسيرسل آخر لأبويه وإخوانه وأخواته. وسيتزوج أعضاء الحضارة الجديدة وهم صغار السن؛ سيروج هذا الأخلاقيات العامة ويغرز صفة التحمل فى الجيل الجديد؛ وهكذا سوف لا يكون لدينا ذرية ضعيفة ناتجة من زواج متأخر، أو من آباء أفنوا قوتهم يكدحون من أجل الحياة.

وسوف يجذب كل مهاجر من الطبقة المتوسطة الكثير من أقرانه ليلحقوا به.

وبالطبع سيحصل الأشجع على أفضل ما فى العالم الجديد.

وهنا يبدو أننا و بلا شك قد تطرقنا إلى أكثر الصعوبات فى مخططى هذا.

وحتى إذا تمكنا من بدأ نقاش عالمى حول المسألة اليهودية بطريقة جادة.

وحتى إذا أدى هذا النقاش إلى النتيجة الإيجابية القائلة بأن قيام الدولة اليهودية أمر ضرورى للعالم.

وحتى إذا ساعدتنا القوى على بسط السيادة على قطاع من الأرض.

كيف لنا أن نقوم بنقل جماهير اليهود من أوطانهم الحالية إلى البلد الجديد دون إجبار لا داعى له؟

فبالطبع من المفترض أن تكون هجرتهم تلك اختيارية.

ظاهرة الجماهير

بالكاد سيستلزم دفع هذه الحركة إلى الأمام مجهودات كبيرة، فالمعادين للسامية يوفرون القوة الدافعة المطلوبة. فكل ما عليهم هو أن يفعلوا ما كانوا يقومون به من قبل، ومن ثم فإنهم سيخلقون رغبة فى الهجرة لم يسبق لها نظير، ولسوف يعمدون إلى تقوية أية رغبة فى الهجرة كانت موجودة من قبل. أما اليهود الباقون حتى الآن فى الدول المعادية للسامية، فحتى أكثرهم جهلاً إنما يدركون أن المحاولات المتعددة لتغيير أماكن الإقامة على مدار القرون الماضية لم تُحدث لهم أى فائدة مستدامة. وأى أرض رحبت باليهود اليوم وقدمت لهم ميزات، ولو أقل مما تضمنه لهم الدولة اليهودية، ستجذب أعدادًا كبيرة من شعبنا. سوف يهرع إليها الأكثر فقرًا ممن لا يملكون ما قد يفقدون. ولكنى أعتقد ـ ولكل شخص أن يسأل نفسه إن كنت محقّا فى هذا أم لا ـ أن الضغط الممارس علينا يثير رغبة فى الهجرة، حتى وإن كنا نحيا بين طبقات المجتمع الثرية. تكفى الآن الطبقات الأفقر فينا لتأسيس الدولة، فهم يمثلون أقوى الموارد البشرية اللازمة لاكتساب الأرض، فقليل من اليأس لا غنى عنه فى تحقيق المهام الكبرى.

لكن عندما يرفع «شعبنا المضطهد اليائس» قيمة الأرض بوجودهم فيها وبالعمل الذى يقومون به فيها، فإنهم فى الوقت نفسه يجعلونها مكانًا استيطانيّا جذابًا على نحو متزايد للناس الأيسر حالاً.

ستشعر الطبقات الأعلى بالرغبة فى أن يستقبلوا هناك. أما الحملة الأولى من المستوطنين الأفقر، فستتم من قبل الشركة والجمعية معًا، ومن المحتمل أن تلقى دعمًا إضافيّا من جمعيات الهجرة والجَمعيات الصهيونية الموجودة.

كيف يمكن توجيه عدد من الناس إلى مكان بعينه دون إعطاء أوامر صريحة بذلك؟ هناك على نطاق واسع بعض المحسنين من اليهود ممن يحاولون تخفيف معاناة اليهود عن طريق التجارب الصهيونية. وقد طرحت هذه المشكلة نفسها أمامهم، وقد رأوا أنه يمكن حلها من خلال إعطاء المهاجرين أموالاً أو بتوظيفهم. ولذا تجدهم يقولون: «نحن ندفع لهؤلاء الناس ليذهبوا هناك».

لكن مثل هذا الإجراء يمثل خطأً واضحًا، ولن تكفى كل أموال العالم لتحقيق الغرض منه.

وعلى الجانب الآخر، سوف تقول الشركة: «نحن لن ندفع لهم، بل هم سيدفعون لنا. كل ما سنقدم لهم هو فقط بعض الإغراءات ليذهبوا إلى هناك».

وسيوضح الشرح التخيلى التالى المعنى الذى أريده: إذا أردنا ـ أنا وأحد المحسنين (الذى سوف نسميه «البارون») ـ أن نجتذب حشدًا من الناس إلى سهل (Longchamps) بالقرب من باريس فى ظهيرة يوم أحد حار. سوف يعمد البارون إلى أن يعدهم بإعطاء ١٠ فرنكات لكل منهم، ومن ثم فإنه بمبلغ ٢٠٠,٠٠٠ فرانك سوف يجلب ٢٠,٠٠٠ من البائسين والكادحين ممن سيلعنونه للمضايقة التى تسبب لهم فيها. أما أنا فسوف أعرض مبلغ الـ ٢٠٠,٠٠٠ فرانك كمكافأة لأسرع جواد سباق، ثم أقوم بوضع حواجز لإبعاد الناس عن (Longchamps)، عندئذ سيدفعون فرانكًا أو خمسة أو حتى عشرين ليذهبوا إلى هناك.

ستكون النتيجة أنى سأجمع نصف مليون شخص هناك، وسوف يأتى رئيس الجمهورية راكبًا عربة تجرها الخيول وسيستمتع المحتشدون بوقتهم. سيعتقد معظمهم

أنها نزهة جميلة فى الهواء الطلق على الرغم من الحرارة و التراب. وسأكون قد حصلت بالـ ٢٠٠,٠٠٠ فرانك الخاصة بى على حوالى مليون فرانك كرسوم دخول أو ضرائب على اللعب. بل وسيكون بوسعى أن أجلب العدد نفسه إلى هناك كلما أردت، بينما لن يستطيع البارون ذلك بأية حال.

سأعطى مثالاً آخر أكثر جدية على ظاهرة الجماهير حيث يكسبون معايشهم. دع شخصًا ينادى فى شوارع المدينة قائلاً: «من يرغب فى الوقوف طوال اليوم فى برد الشتاء القارس أو حرارة الصيف الملتهبة فى قاعة حديدية معرضة للشمس من كل الجهات ليتحدث مع كل مار ويعرض عليه البضائع المبهرجة أو السمك أو الفاكهة، فإنه سيحصل على ٢ فلورين أو ٤ فرانكات أو شيئًا من هذا القبيل».

كم عدد الأشخاص الذين سيذهبون إلى القاعة؟ ولمدة كم يومًا سيصمدون عندما دفعهم الجوع للذهاب إلى هناك؟ وإذا صمدوا، فما هى الطاقة التى سيبذلونها فى إقناع المارة لشراء البضائع المبهرجة أو السمك أو الفاكهة؟

فلنضع الأمر فى شكل مختلف. ففى الأماكن التى تنشط فيها التجارة ـ ولن يكون من الصعب علينا اكتشاف تلك الأماكن لأننا نوجه التجارة حيثما نشاء ـ سنبنى قاعات كبيرة ونسميها أسواقًا. يحتمل أن تكون هذه القاعات أسوأ فى بنائها وأقل فائدة مما سبق ذكره، إلا أن الناس سوف يتدافعون إليها. إلا أننا سنبذل قصارى جهدنا لتحسين بنائها وجعلها أجمل من ذى قبل. حينئذ سوف يعمد الناس ـ رجال أعمال مهرة ـ الذين لم نعدهم بشىء ـ حيث لا يمكن أن نعدهم بشىء بدون أن يكون فى ذلك خداع لهم ـ سيعمدون إلى خلق تعامل تجارى نشيط وهم فى منتهى السعادة. سوف يخاطبون المشترين بلا كلل، سيقفون على أقدامهم وقلما سيفكرون فى التعب. سيسرع كل منهم عند الفجر حتى يكون أول من يصل إلى المكان، وسوف يشكلون نقابات واتحادات وأى شىء يحافظ على استمرارية كسب قوتهم. وإذا وجدوا فى نهاية اليوم، وبعد هذا العمل الشاق، أنهم قد ربحوا ١ فلورين أو ٥٠ كرويتزرًا أو ٣ فرانكات فقط، فإنهم سيتطلعون بأمل إلى اليوم التالى الذى قد يجلب لهم حظّا أوفر.

فقد ألهمناهم الأمل.

ربما يتساءل أحدكم: من أين سيأتى الطلب الذى يخلق السوق؟ هل من الضرورى أن أخبرهم مجدداً؟

فقد أوضحت سابقًا أنه عن طريق نظام «المساعدة بالعمل» يمكن أن يزيد العائد خمسة عشر ضعفًا، فينتج المليون الواحد خمسة عشر مليونًا، و١٥,٠٠٠ مليون من ١٠٠٠ مليون.

قد يكون هذا هو الحال على نطاق محدود، فهل هو كذلك على نطاق واسع؟ بالتأكيد يدر رأس المال عائداً يقل عكسيًا مع معدل نموه. ويتسبب رأس المال غير العامل ورأس المال الخامل فى در هذا العائد المنخفض، بينما ينتج رأس المال العامل عائداً متزايداً بشكل هائل، وهنا تكمن المسألة الاجتماعية.

أعساى أقر واقعًا؟ يمكننى أن أشهد اليهود الأثرياء على صدق كلامى؛ لماذا يقومون بالعديد من الصناعات المختلفة؟ لماذا يرسلون الرجال للعمل تحت الأرض لاستخراج الفحم وسط أخطار كبيرة مقابل أجر ضعيف؟ لا أتصور أن هذا أمر ممتع حتى لأصحاب المناجم، فأنا لا أعتقد أن الرأسماليين عديمو الرحمة، ولا أدعى أنى أصدق ذلك. لست أرغب هنا فى إبراز الاختلافات بل فى تيسيرها.

هل من الضرورى توضيح ظاهرة الجماهير وتركزهم فى مكان بعينه من خلال الإشارة إلى الحجاج المتقين؟

أنا لا أريد أن أجرح الإحساس الدينى لأى أحد باستخدام كلمات قد يساء تفسيرها.

سأشير باختصار شديد إلى الحجاج المحمدانيين إلى مكة والحجاج الكاثوليك إلى (Lourdes)، وإلى البقاع العديدة التى يعود منها الناس بعد حصولهم على الراحة النابعة من الدين وإلى الهوك المقدس فى ترير. ومن هنا سننشئ مركزاً لاحتياجات شعبنا الدينية العميقة، وسيتفهم وزراؤنا هذا أولاً ثم سيكونون معنا فى ذلك.

سنسمح لكل فرد «هناك» أن يجد الخلاص بطريقته الخاصة. وقبل كل شىء، سنفسح مجالاً للجماعة الخالدة من المفكرين الأحرار الذين يقومون دائمًا بفتوحات جديدة للإنسانية.

ولن تمارس أى أشكال من القوة على أى أحد إلا فى إطار ما هو ضرورى لحفظ الدولة والنظام، ولن يترك تحديد القوة المطلوبة عشوائيّا لواحدة أو أكثر من السلطات الأكثر تغيراً، بل ستحدد من قبل قوانين صارمة.

و الآن إذا دعت التوضيحات التى ساقتها بعض الناس إلى الاستدلال على أن الجماهير يمكن أن تجذب بشكل مؤقت إلى مراكز الدين والأعمال والترفيه، فسيكون الرد على اعتراضهم بسيطًا. بينما واحدة من تلك الأشياء كافية لجمع الحشود، فإنه سيتم احتساب كل مراكز الجذب هذه مجتمعة كى تبقيهم وترضيهم على نحو دائم، فهذه المراكز مجتمعة إنما تشكل هدفًا عظيمًا واحدًا طال السعى وراءه، لطالما شغف الناس بتحقيقه، هدف عاش الناس من أجله، هدف أبقى الناس أحياء تحت الضغط الخارجى -ألا وهو الوطن الحر! ما أن تبدأ الحركة حتى نجتذب بعض الناس وراءنا، وسيتبعهم آخرون؛ فالبعض سينجرف فى التيار والباقى سيندفع ليلحق بنا.

أما آخر المستوطنين المترددين فهم الأقل حظّا من غيرهم، هنا وهناك.

بينما الأوائل ممن هاجروا يدفعهم الإيمان والحماس والإقدام، فسيحصلون على أفضل المناصب.

الموارد البشرية

تنشر بالخارج أفكار خاطئة حول اليهود أكثر من أى شعب آخر، ولقد أصابنا الإحباط والانكسار من جراء معاناتنا التاريخية، حتى أننا ـ أنفسنا ـ بتنا نكرر ونصدق هذه الأفكار الخاطئة. ومن أمثلة هذه الأفكار هو أننا نحب الأعمال التجارية بشكل مفرط. أما الآن فقد أصبح معروفًا أنه متى كان مسموحًا لنا بالمشاركة فى الارتقاء بالطبقات، فإننا سرعان ما نتخلى عن أعمالنا متى كان هذا ممكنًا. الغالبية العظمى من رجال الأعمال اليهود يعنون بتعليم أبنائهم تعليمًا عاليًا، ومن ثم يتحقق ما يسمى بـ «تهويد» كل المهن الفكرية. وحتى بين طبقات المجتمع الضعيفة اقتصاديّا، لا يعد حبنا للتجارة أمراً طاغيًا كما يفترض عمومًا. فى دول أوروبا الشرقية توجد أعداد غفيرة من اليهود الذين ليسوا بتجار والذين لا يخشون العمل الجاد كذلك. ستتولى جمعية اليهود

مهمة إعداد إحصائيات علمية دقيقة عن قوتنا البشرية. وسترضى المهام والآفاق الجديدة التى تنتظر شعبنا فى البلد الجديد الحرفيين الحاليين، وسوف تحول الكثير من صغار التجار الحاليين إلى عمالة يدوية.

فالبائع المتجول الذى يسافر خلال البلد حاملاً حزمًا ثقيلة على ظهره لا يشعر بالرضا كما يتخيل مضطهدوه. أما يوم العمل ذى السبع الساعات فسيحوله وأقرانه إلى عمال. فهم أشخاص جيدون أسىء فهمهم، وهم يعانون الآن ربما أكثر من أى فئة أخرى. وعلاوة على ذلك، سوف تنشغل الجمعية بتدريبهم منذ البداية ليكونوا حرفيين. وبهذه الطريقة سينمو حبهم للمكسب بشكل صحى. يمتلك اليهود طبيعة قابلة للنمو وللتكيف، وهم مؤهلون لأى من سبل كسب العيش ولذلك يكفى العمل على جعل التجارة الصغيرة تجارة غير مربحة حتى يتخلى عنها حتى البائعين الجائلين بالكلية. ويمكن تحقيق هذا ـ على سبيل المثال ـ عن طريق تشجيع المتاجر الكبرى التى تعرض كل مستلزمات الحياة. وهذه المتاجر العامة من شأنها تدمير التجارة الصغيرة فى المدن الكبرى، وسيمنعون وجودها على الإطلاق فى أرض الحضارة الجديدة. كما أن إنشاء مثل هذه المتاجر يعد ذا فائدة أكبر؛ لأنها من فورها تجعل البلد صالحة لسكنى الناس الذين يحتاجون إلى مستلزمات حياتية أكثر دقة.

العـادات

هل تعتبر الإشارة إلى عادات الإنسان العادى وراحته البسيطة متماشية مع الطبيعة الجادة لهذا الكتيب؟

أظنها كذلك، كما أنها بالإضافة إلى هذا، غاية فى الأهمية، فهذه العادات البسيطة تمثل العدد الكبير من الخيوط الرقيقة التى تتشابك مع بعضها البعض لصنع حبل لا ينقطع.

هنا يجب تنحية بعض الانطباعات المحدودة، فمن له أى معرفة بالعالم يعلم أنه من السهل نقل مثل هذه العادات اليومية البسيطة إلى أى مكان. وقد استخدمت الوسائل التقنية الحديثة ـ التى يعتزم هذا المخطط توظيفها فى خدمة الإنسانية ـ حتى الآن من أجل

هذه العادات البسيطة بشكل أساسى. ولذا يوجد فنادق إنجليزية فى مصر وعلى قمم جبال سويسرا، كما توجد مقاه نمساوية فى جنوب إفريقيا، ومسارح فرنسية فى روسيا، وأوپرا ألمانية فى أمريكا، وأفضل أنواع البيرة الباڤاريّة فى پاريس.

و عندما نرحل من مصر ثانيًا (*) فإننا لن نترك أماكن اللهو خلفنا.

بل سيجد كل إنسان عاداته مرة أخرى فى المجموعات المحلية وستكون أفضل وأجمل وألطف من ذى قبل.

* * *

(*) يريد المؤلف تشبيه رحلة اليهود من أوطانهم إلى فلسطين، برحلة بنى إسرائيل من مصر مع نبى الله موسى - المترجم.